مجلّة العربيّة المجلد (07) العدد(03)
(EISSN :2602-5434) -(ISSN:2437 -0231) (ص: 93-107)

# النّحو العربي بين المنطق واللّامنطق

Arabic grammar between logic and illogicality

**جمال سنوسي**
طالب دكتوراه
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف
إشراف:د/ إسماعيل زغودة.
مخبر تعليمية اللّغات وتحليل الخطاب
البريد المهني:d.senouci@univ-chlef.dz
البلد: الجزائر

تاريخ الإرسال: 2020/11/1 تاريخ القَبول: 2020/12/06 تاريخ النّشر: 2020/12/30

**ملخّص:**

تعتبر مسألة تأثر النحو العربي بالمنطق من المسائل التي مازالت إلى اليوم تحدث الكثير من اللغط، بين من ينتصر لصفاء منبع النحو، وبين من يدفع عكس ذلك، ولنا في هذه الورقة البحثية أهم الآراء اللّسانية التي تثبت تأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي ، وبين من ينكر المسألة إنكارا تاما ليبقى الباب مفتوحا لحد الساعة لم يحسم فيه الجدل بين المدافعين والمتحاملين ، وهو أحد الأبواب التي تؤاخذ على النحو العربي مثلما يكسب منها قوته وثباته وصيرورته.

الكلمات المفتاحية: التأثر؛ المنطق؛ النحو؛ اللّسانيون؛ المنطق الأرسطي.

**Summary:**

**The question of the influence of Arabic grammar by logic is one of the issues that still occurs today, there is a lot of confusion between those who win the serenity of the source of grammar and those who pay the opposite, and we have the most important linguistic opinions that prove that the Arab grammar is influenced by Aristotelian logic and those who deny the issue completely to remain open to today, where the debate between defenders and prejudices is not resolved, which is one of the doors that is taken in the Arab way as it earns its strength, stability and its will.**

**Keywords: influence; logic; grammar; linguistics; Aristotelian logic .**

30ديسمبر 2020

**مقدّمة:**

يُعتبر اللّسانيون وخصوصا الوصفيون منهم من أهم اللغويين الذين ثاروا على النحو العربي في العصر الحديث، مما جعل منه أهم علوم اللغة العربية التي تعرضت للنقد والقدح والتحامل، وقد اعتمدوا في ذلك على بعض المآخذ التي آخذوها عليه كالمعيارية والمنطق، ويعتبر هذا الأخير من أهم الانتقادات التي وجهت للنحو العربي، وأسالت كثيرا من الحبر بين من دافع عن النحو وأصالته، وبين من اتهمه بالمنطقية والتي جعلت منه علما مستصعبا عقّد النحو واللغة أكثر مما خدمها في نظرهم، وهو ما سنبحثه بين دعاة المنطقية ودعاة اللامنطقية في النحو.

**1- اللّسانيون ومنطقية النّحو:**

إنّ تأثير المنطق في النّحو العربيّ من الموضوعات الشائكة التي أسالت الكثير من الحبر بين مؤيد لوجود علاقة بيّنة بين النّحو والمنطق الأرسطي وبين رافض لهذه الفكرة بتاتا،وقد اعتبر بعضهم هذا التأثير "حقائق لا تحتمل النّقاش، لأنّ هذا النّحو مدين للفلسفة اليونانية بأهم معطياته، نشأ في بيئة متشبّعة بها،وبُوّب على أساس مقولاتها"[1].

"و لا شك أنّ أهم ما وجّه إلى النّحو العربي من نقد أنّه متأثر بالمنطق الأرسطي،وهذه الأهمية ترجع إلى أساس من أسس المنهج، ذلك أن منطق أرسطو يهتم بالصورة أكثر من المادة " [2]، و هذا ما حاول بعض اللّسانيين الميل إليه في دعواهم أنّ النّحو العربي احتضن المنطق الأرسطي في بداياته، موجهين بذلك نقدا للنّظرية النّحوية، "فقد ركز اللّسانيون العرب على ذلك النّشاط العلمي الذي ساد البلاد العربيّة، و إلى التّرجمة التي كانت أهم مظاهره وبخاصة منها ما كان عن اليونانية من مؤلفات المنطق و الفلسفة".[3]

فارتكزوا بذلك على فكرة التّرجمة كعامل أساس في فكرة التّأثير، نظير ذلك النّشاط العلمي الذي ساد البلاد العربيّة، خصوصا ترجمة المصنفات اليونانية في مجالي المنطق والفلسفة "، و لعل العرب لم يترجموا عن أمة كما ترجموا عن اليونانيّة، إما مباشرة أو عن طريق السريانية، ومن المعلوم أن أرسطو كان له نصيب الأسد في الكتب المترجمة إلى اللّغة العربيّة، وأن منطقه أصبح شهيرا في البلاد الإسلامية في العصر العبّاسي".[4]

فتمّام حسّان من خلال مقولته السّابقة يرى أن أمر التّأثير أمر طبيعي، فكان من البديهي " أن تنتقل عدوى التفكير الأرسطوطاليسي الذي يخلط بين الدّراسات اللّغوية والدّراسات المنطقية و الميتافيزيقية إلى اللّغة العربيّة ودراستها، و بالأخص دراسة أصل اللّغة والدّراسات النّحوية "[5].

ويرى بأنّ هذا من سنن المعرفة، حين ينتفع اللاّحق بما خلّفه السّابق من تجارب وهو تماما ما فعله النّحويون، حين بحثوا "عن سلف ينتفعون بتجاربه، فوجدوا أمامهم تجارب السّريان والإغريق التي ترجع في معظمها إلى إخضاع اللّغة للدّراسات الفلسفية والمنطقية ولا تكتفي بأن تسلّط المعايير على الاستعمال؛ بل تسلّط المعايير على المنهج "[6].

ومن الّذين ذهبوا في هذا الاتّجاه نذكر: عبده الراجحي حين أجرى مقارنة بين بعض مقولات أرسطو و بعض النّصوص النّحوية ، وخاصة عند النّحاة الأوائل من أمثال سيبويه حيث يقول: " إنّ المنطق الأرسطي لم يكن معروفا معرفة كافية أيام الخليل وسيبويه، وهما صاحبا التأثير الحقيقي في النّحو العربي؛ و لكن ذلك لا يعني أن هذا المنطق كان بعيدا عن أيديهم في شكل ما، ونحن لا نستطيع أن نغفل عن أوجه من التّشابه بين المنطق والنّحو في هذه الفترة" [7]، وهذا يدلّ على تأثير المنطق الأرسطي في النّحو العربي، خصوصا بعد سيبويه في التّصنيف والاصطلاح، أمّا ما تورده بعض شواهد الكتب من مخالفة النّحاة " لبعض أراء أرسطو كل ذلك لا يدلّ على أنّ المنطق كان غائبا" [8].

حيث يقرّ " بأنّ وجود الأثر المنطقي في النّحو العربي دليل على مكانة الجانب العقلي في هذا النّحو، وهو جانب كان موجودا مع الجانب النّقلي في المناخ العام الذي كان يسود البيئة الإسلامية وقت نشأة هذه العلوم و ازدهارها" [9]، على أن تمّام حسّان يقرّ صراحة بهذا التّأثير فيقول: "أمّا النّحو العربي فإنّ المنطق فيه يبدو من جانبين اثنين، أولهما: جانب المقولات وتطبيقها في التّفكير النّحوي العام، و ثانيهما: الأقيسة والتعليلات في المسائل النّحوية الخاصة، مع ما يساير ذلك من محاكاة التقسيمات اللّغوية التي جاء بها أرسطو في دراساته، والتي ذكرنا أنّه خلط فيها بين النّحو و بين المنطق" [10]، ومن ذلك أنّه عرض مقولات المنطق الأرسطي وهي: الجوهر، والكم، والكيف والزّمان، والمكان والإضافة،والوضع والملك والفعالية، والقابلية، وحاول أن يجد لها نظيراتها عند النّحاة القدامى، هذه المقابلات عرضتها الدّكتورة فاطمة الهاشمي بكوش موجزة في الجدول التّالي:[11].

| المقولة الأرسطية | ما يقابلها في التّفكير النّحوي و الدراسات اللّغوية الحديثة |
|---|---|
| الجوهر | وجود أصل لكل كلمة هو جوهر لا يتغير إلا بإعلال أو إبدال.<br>وجود أصل للجملة أيضا إذا غاب قُدر. |
| الكمّ | المدّة التي يستغرقها نطق بعض الأصوات متساوية، و إن لم تكن متناسبة، من ذلك أن الحرف المشدّد = $\frac{1}{2}$ م *نطق صوتين، الفتحة = $\frac{1}{2}$ م، صوت الألف اللّينة، الضمة = $\frac{1}{2}$ م صوت الواو المدية، الكسرة = $\frac{1}{2}$ م صوت الياء المدية. |
| الكيف | صفات الأفعال: مقصور،أجوف، ناقص...،و التّقسيم إلى مفرد ومركب أو جمع. |
| الزّمان | الخلط بين الزّمن الفلسفي والزّمن النّحوي، تقسيم الفعل إلى ماض و مضارع و أمر من دون مراعاة الاستعمال الفعلي. |
| المكان | تقدير الحركات الإعرابية على أواخر الكلمات، فكرتا الإعلال والإبدال، تغيير شكل ما في مكان معين أو وضع شيء مكان شيء آخر، قواعد تركيب الجملة، تقديم الفعل على الفاعل. |
| الإضافة | فهم الفعل بالإضافة إلى فاعله، ظاهرة غياب الفعل وتقديره.<br>الإمالة: لا يعد الاسم الممال إلا بالإضافة إلى اسم آخر ألفه صريحة من دون مراعاة اختلاف اللّهجات مما اضطرهم لتقسيم اللّفظ إلى شاذ و مطرد . |
| الوضع | إعراب الجملة مع عدم إمكانية ظهور الحركة الإعرابية عليها. |
| الملك | الحركة وصيف للحرف الصّحيح و ملك يمينه . |
| الفاعليّة | نظريّة العامل تنصّ على أن كل الكلمات تكون إما فاعلة أو عاملا بعضها في بعض كما الأشياء في منطق أرسطو، فهي إما |
| القابليّة | |

| | |
|---|---|
| | فاعلة أو قابلة للفعل. |

كما لم يشذ الدّكتور أنيس فريحة هو الآخر عن مقولة تأثير المنطق الأرسطي في النّحو في بدايات نشوئه" و يشير إلى أخذ العرب عن السّريان علوم النّحو و المنطق في مبتدأ نشأة النّحو العربي، فالأثر الأوّل في نقل هذين العلمين على وفق ما يرى هو للسّريان و النّصارى واليهود، لأنّهم أوّل من وضع نحو لغته و صرفها متأثرين بالإغريق" [12] حيث يقول : " لا شك أن أثر المنطق الإغريقي ( مقولات أرسطو على وجه التّخصيص ) ظاهر في نحونا و صرفنا "[13]

فالنّحويون العرب في نظره وجدوا النموذج السّرياني أمامهم ماثلا "، فترجموا عنهم ما ترجموه هم عن اليونان، ويعلّل ذلك بما أتمّ به كتاب سيبويه من تمام الصّناعة النّحوية وكمال المصطلح العلمي"، فكان أن تأثر العرب أولا بالصرف و النّحو السّرياني والأمر لا يحتاج إلى تدليل، لأنّ وضع قواعد اللّغة العربيّة وفلسفة العامل فيها أسبق في الزّمن من عصر التّرجمة، والاحتكاك الوثيق بالفلسفة الإغريقية وبالعلوم الإغريقية".[14]

و من الأمثلة التي ضربها أنيس فريحة أن حنين بن إسحاق (ت264هـ)، الذي ترجم المنطق الأرسطي إلى السّريانية، ومنه إلى العربيّة كان صديقا حميما للخليل بن أحمد ولازمه حتى أتقن اللّسان العربيّ، كما أشار إلى مقولات المنطق الأرسطي، وما يقابلها في النّحو العربيّ من تقسيم الكلام إلى: اسم، وفعل، وأداة، وأنه من صميم التّقسيم الإغريقي للوجود، ومن الذين ساندوا هذا الرأي أيضا الدّكتور عبد الرحمن أيّوب، وأفرد لذلك نظرة أفلاطون إلى الموجودات باعتبارها نوعان: ذوات، وأحداث، وأشار إلى العلاقة بين الأحداث والذوات، "وقسّم أفلاطون الألفاظ على أساس دلالتها على هذه الموجودات فقال بأنّ الكلمة قسمان: اسم وهو ما يدلّ على ذات، وفعل وهو ما يدلّ على حدث وهناك نوع ثالث يدلّ على العلاقة بين الذّات و الحدث سمّاه أفلاطون بالعلاقة"،[15] ومن ذلك أن تعريفات النّحويين للاسم والفعل والحرف تماثل وتضارع تقسيمات أفلاطون للموجودات؛ لأنّهم كانوا متأثرين بالفلسفة الإغريقية عن الموجودات .

"والواقع أن التّاريخ لا يقدم شيئا ماديا مؤكدا عن اتصال النّحاة الأوائل بالمنطق الأرسطي اتّصالا مباشرا، فالرّوايات عن هذه الفترة مضطربة؛ لكن اضطرابها لا ينفي وجود هذا المنطق في المناخ الذي كان سائدا وقتذاك، ونحن لا نعرف على وجه الدّقة

متى عرفت أعمال أرسطو طريقها إلى الفكر العربيّ في مراحله الأولى، والذي تذكره الأبحاث أنّ العرب اتّصلوا بالمنطق الأرسطي من طريقين،الأول ما قدمه النّحاة السّريان و الثّاني ما تمّت ترجمته من هذا المنطق إلى العربيّة "[16].

وكما هو بَيّنٌ سابقا هذا نزر قليل من اللّسانيين الوصفيين الذين نحو هذا الاتّجاه في القول بمسألة التّأثير، ولا يكاد الشّك يخامرهم في هذا، "وإنّ شبه الإجماع هذا على تأثر النّحو العربيّ بالفلسفة اليونانية أو المنطق الأرسطي، يبعث على الظنّ بأنّ النّحاة اكتفوا بتبني المقولات المنطقية، وأن معطيات النّحو العربيّ هي في أساسها تكييف لهذه المقولات معنى هذا أن المشاغل المنطقية اعتبر أنّها قامت مقام المشاغل اللّغوية منذ أقدم العصور وعلى الأقل منذ ألّف سيبويه كتابه الشهير" [17]،بل من الباحثين من أرجع هذا التّأثير إلى أفلاطون نفسه، وحاولوا إيجاد أوجه التّشابه بين النّحو العربيّ والفكر اليوناني، ومنهم من سار ووقف موقف المستشرق "ماركس" حول هذا الموضوع في محاضرته التي ألقاها بالمعهد المصري واستعرض فيها الحجج الدّالة في نظره على اقتباس النّحاة العرب من الفكر اليوناني إلى علومهم .

أمّا أمين الخولي فيصدر حكما عاما في هذه القضية فيقول صراحة:" إنّ النّاظر في ماضي هذا النّحو العربيّ دون دخول في شيء من تاريخ صلة هذا النّحو بغيره من أنحاء الأمم الأخرى، يطمئن إلى أن هذا النّحو قد تأثر بالروح الهيلينية المسيطرة على المناطق التي نشأ ونما فيها، وإن تأثّره بالمنطق اليوناني قد قوي في بعض النّحاة حتى أبعدهم عن النّحو في تقدير أبناء زمنهم أنفسهم".[18]

وبناء عليه فقد استند جلّ هؤلاء الدّاعين إلى مبدأ التّأثر على الظّروف الثّقافية التي نشأ فيها النّحو العربيّ، برواج مؤلفات أرسطو المنطقية في بلاد فارس ومنه إلى العربيّة، فترجمت كتبه وشرحت واختصرت، وتوالى البحث عند المتكلمين والفقهاء والفلاسفة والمناطقة، ممّا خلق تلك الحركيّة العلمية التي أثّرت في اتجاه النّحو العربيّ إلى المنطقية وأصبح القول بتأثر النّحو بمنطق أرسطو من المسلمات العلميّة عندهم .

**2- دعاة اللّامنطقية في النحو العربي:**

وخلافا لما أوردناه سابقا من تشبث بعض اللّسانيين بالآراء القائلة بمبدأ التّأثر انبرى لهذا جماعة أخرى من الباحثين تنفي هذا الرأي نفيا تاما، ولعلّ كتاب إبراهيم السّمرائي "النّحو العربيّ في مواجهة العصر" فيه من الأدلة الفعلية المقنعة، والتي أوردها في فصل بأكمله يردّ على ادّعاءات عبده الراجحي في كتابه "النّحو العربيّ والدّرس

الحديث"، حيث يقول: "مع إقرار المؤلف وعجزه عن أن يثبت أيّ نوع من الاتّصال للنّحاة العرب بالإغريق وتأثرهم بمنطق أرسطو ولكنّه مدفوع كغيره إلى هذا، لقد عجز جملة هؤلاء أن يثبتوا شيئا من أثر هذا المنطق في أيّ باب من أبواب النّحو في كتاب سيبويه"[19] ومع عدم إنكاره لاتّصال العرب بالفكر اليوناني، إلاّ أنّه لا يراه تأثيرا كبيرا مثلما هلّل له بعض، ويرى هذا التّأثير في علم الكلام وشيئا من الفلسفة الإسلامية،"غير أن التّراث النّحوي كان بمعزل عن كل هذا ونفي نفيا قاطعا أن يكون الخليل بن أحمد قد تتلمذ لحنين بن إسحاق وحساب السّنين يثبت بطلان ذلك".[20]

على أن عبده الراجحي يقول في كتابه:" إنّ المنطق الأرسطي لم يكن معروفا معرفة كافية أيام الخليل وسيبويه، ولكنّ ذلك لا يعني أن هذا المنطق كان بعيدا عن أيديهم في شكل ما، ونحن لا نستطيع أن نغفل عن أوجه من التّشابه بين المنطق والنحو في هذه الفترة وبخاصة في قضية التّعليل وهي تمثّل عنصرا أساسيا في المنهج النّحوي عند العرب"[21]، مما أدى بإبراهيم السّمرائي إلى نقده نقدا لاذعا حيث ردّ عليه بقوله:"مع إنكار المؤلف وجود منطق أرسطو في النّحو في حقبة الخليل وسيبويه إلا أنّه استدرك فقال لابد من شيء من هذا بحكم التّشابه بين المنطق والنّحو، وكأنّه لا يستطيع أن ينفك من عقده تأثّر العرب وأنّهم تابعون لا مبتكرون... وقد وجدنا أنّه يتشبّث بأقوال وألفاظ عدل بها عن وجهها الصّحيح ليحقّق لنفسه ما يريد"[22].

ومن الّذين عالجوا الموضوع أيضا عبد القادر مهيري، حيث نفى تأثر النّحو العربيّ بالمنطق الأرسطي، وما الحجج التي أتى بها اللّسانيون وبعض المستشرقين إلّا حججا واهية لاتستند إلى دليل ماديّ أو تاريخي يمكن بها إثبات صحة أقوالهم، فلا يمكننا " أن نعتبر مثّل هذه الإرشادات من شأنها أن تُكوّن حججا تقنع بتأثّر التّفكير النّحوي العربيّ بالتّفكير اليوناني، فضلا عن اكتفاء النّحاة بتبني المعطيات الفلسفية اليونانية، فلئن كان من المسلم به أن البيئة الثّقافية البصرية لم تكن خالية من عناصر غير عربيّة وأن أصداء ثقافات مختلفة من فارسية ويونانية وهندية كانت تتردّد فيها، فليس لدينا ما يثبت أن مؤلفات يونانية معينة كانت تدرّس فيها خلال القرنين الأوّل والثّاني"[23].

إنّ الّذين حاولوا إثبات التّأثر لم يأتوا بالدّليل القطعي سوى بعض الشّذرات المتناثرة هنا وهناك في بعض كتب التّراث، والّتي لم تقل صراحة بوجود هذا التّأثر" وكل هذا يحملنا على التّساؤل عن مدى وجاهة النّظرية القائلة بتأثر النّحو العربيّ في طور نشأته بالتّراث اليوناني وخاصة المنطق الأرسطي، فليس لدينا في الحالة الراهنة آيّة

وثيقة تثبت ذلك إثباتا علميا، والآراء التي أبديت في هذا الموضوع لا نظنّها تتجاوز التّخمين والافتراض"[24].

فالنّحو العربيّ نشأ بصريا بعيدا عن مبدأ التّأثر، بل إنّ النّحاة الأوائل بنو علم النّحو بما هو متوفر في بيئتهم ولم يقتبسوا عن غيرهم،" وأقصى ما يمكن أن يقال هو أنّ ثقافة نحاة القرنين الأوّل والثّاني هي ثقافة بصرية؛ أي ثقافة تكامل فيها النّقل والعقل وتآلفت الرواية والنّظر نتيجة التقاء التّراث العربيّ بأصداء الثّقافات الأجنبية، فأسفر ذلك عن منهج لمعالجة مختلف ميادين المعرفة...،ولا نظنّ أن رجال العلم في ذلك العصر والنّحاة منهم خاصة كانوا يمارسون عملهم على ضوء ما يجدونه في مرجع يونانيّ أو غيره،- إن وجد حقا- وإنّما بهدي من عقولهم الّتي غذّتها الثّقافة البصرية"[25].

فعبد القادر مهيري يستبعد فرضية تأثر النّحو العربيّ في بداية نشأته بالعلوم المنطقية ويعتبر ذلك غير وارد، فالنّحو العربيّ قد نما في بيئة عربيّة خالصة نتيجة ظروف مختلفة ساعد على ارتقائه الحاجة إلى ضبط اللّغة العربيّة وضبط القرآن الكريم ووضع ضوابط لا يحيد عنها العامة والخاصة في حياتهم اللّغوية، "وإن وجد المنطق إلى النّحو سبيلا بمقولاته ومبادئه وفرضياته فليس ذلك في عهد نشأته، وإنّما ابتداء من القرن الثّالث حين أصبح النّحو ميدان مناقشات لا حدّ لها، ومجادلات هدفها الإقناع على أساس متطلبات العقل لا على أساس مقتضيات اللّغة"[26].

ويعتبر الدّكتور عبد الرحمان الحاج صالح من بين الّذين تناولوا هذا الموضوع بإسهاب وحاول أن يبرز أصالة النّحو العربيّ وإبعاد شبهة التأثر بالمنطق الأرسطي، فقدم أدلّة عقلية وأخرى تاريخية؛ فأمّا العقلية منها فيجب أن نعرف أين وفي أي كتاب صرّح أرسطو بذلك؟ ورأى أنّ غرض النّحو من لفظي الاسم والفعل غير غرض أرسطو منهما أمّا الأدلّة التّاريخية فأرخ لها التّأثر بالمنطق، ورأى أن بوادره الأولى بدأت في الظهور في النّحو العربيّ زمن المبرد( ت 286ه) وأتباعه وخاصة ابن كيسان( ت 337ه) وهذا في نهاية القرن الثّالث الهجري وبذلك نفى وجود تأثير وتأثر زمن النّشأة الأولى للنّحو العربيّ.

وقد ركّز عبد الرحمن الحاج صالح على أراء بعض المستشرقين وخصوصا "ماركس" الّذي اتّبعه الكثير من اللّسانيين المحدثين، وفنّد ما ذهب إليه من أنّ تقسيم المنطق الأرسطوطاليسي للكلام إلى اسم وفعل وأداة يشبه التّقسيم الثّلاثي النّحوي عند العرب والّذي عزاهم إلى القول بأنّ العرب اقتفوا أثر المنطق اليوناني في كتاباتهم النّحوية.

انتقد الحاج صالح أراء "ماركس" وردّ عليها ورأى بأنّ معرفته بالتّراث العربيّ معرفة قاصرة وضيقة، وأنّ استدلالاته باطلة ومن ذلك قوله بأنّه مرّ زمان طويل تكونت فيه المقاييس النّحوية واحتاج الفكر اليوناني إلى قرون من الجهد والعمل حتى تبلور كفنّ قائم بذاته. وهذه حجة واهية عند الحاج صالح في اعتماد ماركس على تطور الفكر اليوناني بالمدة الزّمنية؛ لأنّ هذا ليس دليلا يبني عليه القياس، أما قول ماركس باعتماد النّحاة العرب على مفاهيم غريبة عنهم استقوا منها معلوماتهم فردّ عليه بأنّه لم يثبت التّاريخ ذلك، إذلم يذكر أحد من النّحاة العرب أنّهم أخذوا عن اليونان ولا من غيرهم وكتاب سيبويه أقدم ما وصل من كتب النّحو لا يشير إلى أي شيء من هذا القبيل على سبيل الإشارة أو حتى الملمح"[27].

وممّا أورده عبد الرحمن الحاج صالح أيضا رفض بعض العلماء والمسلمين للمنطق حيث أنكروه ورأوا فيه خطرا على لسانهم وتفكيرهم وعقيدتهم. يقول الشّافعي: ماجهل النّاس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطوطاليس.

أما إذا جئنا إلى الدكتورة فاطمة الهاشمي بكوش فقد رأت على نقيض هؤلاء أن المقولة ذات جوانب إشكالية لخصتها في الجوانب التّالية[28]:

- إنّ العقل البشري عقل منطقي وهذا ما أكدته العلوم الإدراكية ( cognitive) المعاصرة بمعنى أن السّلوك المنطقي هو طابع فطري عند الإنسان، وهذا يستبعد فرضية اقتراض الطّابع المنطقي من معارف وثقافات أخرى.
- إنّ تصفّح كتب التّراث النّحوي والمصنفات القديمة يكشف على أنّ العلاقة بين النّحو والمنطق بحسب تصور النّحويين القدماء علاقة تعارض لا علاقة تأثير وتأثر، وهذا ما تدعمه المناظرة الشّهيرة بين أبي سعيد السّيرافي النّحوي ومَتّى بن يونس المنطقي.
- إنّ مسألة تأثر النّحو العربيّ بالمنطق الأرسطي استندت إلى أدلة تاريخية؛ من مثل اتصال النّحاة الأوائل بالعلوم اليونانية والسريانية كرواية اتصال حنين بن إسحاق (ت 260هـ) بالخليل بن أحمد (ت 170هـ) غير أنّ البحث التّاريخي فيها يفنّد هذه المقولة ويكشف ضعفها التّاريخي.
- إذا أراد الباحث إرجاع علاقة التّأثير إلى أبعد من القرن الثّاني للهجرة عصر تأسيس المعرفة النحوية العربية وتقعيد القواعد فإنّه بذلك يكون قد اجتاز مرحلة تأسيس النّحو العربيّ.

ومن الّذين وقفوا من القضية موقف الإنصاف والوسطية دون مغالاة في القول بالتّأثير ولم يحكموا بحكم قاطع ونهائي أحمد أمين، فقد نقل عن الأستاذ "اينوليتمان" أنّه قال في إحدى محاضراته "ونحن نذهب في هذه المسألة مذهبا وسطا وهو أنّه أبدع العرب علم النّحو في الابتداء، وأنّه لا يوجد في كتاب سيبويه إلا ما اخترعه هو والذين تقدموه ولكن لمّا تعلّم العرب الفلسفة اليونانية من السّريان في بلاد العراق تعلموا أيضا شيئا من النّحو، وهو النّحو الّذي كتبه أرسطوطاليس الفيلسوف"[29].

ويقول أيضا " والّذي يظهر لي أنّ تأثير اليونان والسّريان في العصر الأوّل لوضع النّحو كان تأثيرا ضعيفا، وربّما كان أكبر الأثر أثرا غير مباشر كاستخدام آلة القياس والتّوسع بواسطتها في وضع القواعد النّحوية"[30].

ونذكر أيضا قول بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي قوله:" والرأي الّذي يتكرر دوما عند علماء العرب هو أن علم النّحو انبثق من العقليّة العربيّة المحضة، بغض النّظر عن الروابط بين اصطلاحات هذا العلم ومنطق أرسطو، وفيما عدا ذلك لا يمكن إثبات وجوه أخرى من التّأثير الأجنبي"[31].

ولم يشذ عن هذه القاعدة حتى الشّعراء والأدباء فهذا البحتري يقول :

كَلَفْتُمونَا حُدُودَ مَنْطِقِكُمْ والشِّعْرُ يُغْنِي عَنْ صِدْقِهِ الكَذِبَا.

على أنّ عبد الرحمن الحاج صالح لا ينفي امتزاج النّحو العربيّ بالمنطق وخصوصا في نهاية القرن الثّالث الهجري، حين تسربت الكثير من المصطلحات المنطقية إلى النّحو ككتاب "الجمل" للزجاجي، و"الموجز" لابن السّراج وغيرهما، وبالغ النّحاة المتأخرون بعدهم فأدخلوا في الدّرس النّحوي كثيرا من المفاهيم الفلسفية غير اللّغوية لكن هذا لم يؤد به إلى الانسياق وراء فكرة التّأثر، وإنّما الطرح الموضوعي للقضية جعله يورد بعض التّأثيرات الفلسفية والمنطقية في النّحو، ودافع بالبرهان والحجة عن أصالة النّحو العربيّ في ردّه لأقوال المستشرقين وخصوصا "ماركس" باعتباره من الأوائل الّذين مهدوا لفكرة تأثير النّحو اليوناني في النّحو العربي، وتوصل إلى أن النّحو العربيّ نشأ في بيئة عربيّة خالصة بعيدا عن كل التّأثيرات الأجنبية واكتمل نشوءه ونضجه، وما دخول المنطق وتسربه إلى بعض أذهان النّحاة إلا بنهاية القرن الثّاني الهجري وبداية الثّالث.

والتّاريخ النّحوي للنّحاة" مفيد في معالجة هذا الموضوع، فليس في هذه المواقف ما يدلّ البتّة على أنّهم يلمسون أثار المنطق عند الخليل أو سيبويه وذلك مهما كانت نزعة أصحابها ولكنّ ابتداء من الرّبع الأخير من القرن الثّالث وطيلة القرن الرّابع نلاحظ ردود

فعل تدلّ على شعور جماعة من النّحاة بتسرب المنطق إلى فهم وعلى تمييزهم بين الفنين...، بل إنّنا نذهب إلى أنّه لو استمد النّحو أسسه من المنطق لما استطاع المناهضون لهذا العلم أن يميزوا بين الفنين، وأن يعتبروا أن لكليهما طريقة خاصة به وغاية واضحة له"[32].

ومن الأمور المأثورة في هذا المجال المناظرة الشّهيرة التي دارت بين أبي سعيد السّيرافي النّحوي (ت 368ه) ومتّى بن يونس المنطقي(ت 328ه ) والتي تبين أنّ علاقة المنطق بالنّحو كانت علاقة تعارض،" إذ يرى السّيرافي أن المنطق الذي قامت عليه دراسة اللّغة اليونانية يختلف عن المنطق الذي احتكم إليه النّحو العربي، فالمنطق وصفه رجل من يونان على لغة أهلها واصطلاحهم عليها،وما يتعارفونه بها من رسومها وصفاتها فمن أين يلزم التّرك والهند والفرس والعرب أن ينظروا فيه، ويتخذوه قاضيا وحكما لهم وعليهم، وإنّ النّحو منطق ولكنّه مسلوخ من العربيّة، والمنطق نحو ولكنّه مفهوم باللّغة"[33].

ومن ذلك أيضا شأن أبو علي الفارسي( ت 377ه) في أبي الحسن الرّماني ( ت384ه) والّذي كان يمزج كلامه بالمنطق حسب المترجمين، حتى قال أبو علي الفارسي:" إن كان النّحو ما يقوله أبو الحسن الرّماني فليس معنا منه شيء، وإن كان النّحو ما نقوله فليس معه منه شيء"[34].

" وقال بعض أهل الأدب: كنّا نحضر عند ثلاثة مشايخ من النّحويين فمنهم من لانفهم من كلامه شيئا، ومنهم من نفهم بعض كلامه دون البعض، ومنهم من نفهم جميع كلامه فأمّا من لانفهم من كلامه شيئا فأبو الحسن الرّماني، وأمّا من نفهم بعض كلامه دون البعض فأبو علي الفارسي، وأمّا من نفهم جميع كلامه فأبو سعيد السّيرافي"[35].

ويتّضح من هذه المقولة أن المنطق تسرب إلى النّحو بشكل جلي في بدايات القرن الثّالث وإذا قمنا بحساب الفترة الزّمنية التي عاش فيها هؤلاء النّحويين والمعارضات النّحوية التي كانت تحدث بينهم فهي دليل على رفض ثلّة منهم للمنطق، ولا أدلّ على ذلك من قول أبي علي الفارسي في شأن أبي الحسن الرّماني من أنّ ما يقوله ليس معنا منه شيء؛ أي لا علم لنا به، وإن كان ما نقوله نحن هو النّحو فليس عنده شيء من ذلك أيضا.

"إنّ إمعان النّظر في ما خلفه لنا النّحاة من مؤلفات يكشف عن أسس منهجية مختلفة منها ما يتّسم بطابع منطقي لا جدال فيه، ومنها ما هو مستمد من المعطيات

اللّغوية لا يراعي إلا ما يلمس في الكلام ، ولا يقيم وزنا إلا لما يتضمّنه النّص، ويبدو لنا غريبا إن كان المنطق هو منبع النّحو العربيّ أن يتضمن هذا النّحو من المواقف ما يدلّ على إدراك صحيح للحقائق اللّغوية، وما ينمّ عن تمييز بين ما هو لغوي بحت وما هو من قبيل المنطق ومقولاته.[36]

"أمّا القول بالتّأثير اليوناني فهو قضية قديمة، إذ شعر النّحاة أنفسهم منذ القرن الرابع الهجري بتسرب المنطق إلى عملهم ووقف بعضهم موقف الرّفض باعتباره دخيلا على فنّهم ولغتهم" [37] ومن ذلك مثلا أن أبا القاسم الزجّاجي رفض بعض تعاريف الاسم حيث يقول:" ولأنّ المنطقيين وبعض النّحويين قد حدوه حدا خارجا عن أوضاع النّحو فقالوا: "الاسم صوت مرفوع دال باتّفاق على معنى غير مقرون بزمان، وليس هذا من ألفاظ النّحويين ولا أوضاعهم، وإنّما هو من كلام المنطقيين،وإن كان قد تعلّق به جماعة من النّحويين وهو صحيح على أوضاع المنطقيين ومذهبهم لأن غرضهم غير غرضنا ومغزاهم غير مغزانا"[38].

يظهر للعيان من خلال هذه المقولة الفصل بين الفنّين وهدف كل منهما، واعتبر الزجّاجي غرض المنطقيين غير غرض النّحويين، ورؤيتهم للّغة غير رؤية النّحاة فكل له اتّجاهه الّذي ينطلق منه. ومن المستشرقين الّذين بينوا أصالة النّحو العربيّ ورفضوا فكرة التّأثر ورأوا أن النّحو العربيّ نشأ في بيئة عربيّة خالصة نتيجة أسباب دينية ولغوية بحتة بعيدا عن أي تقليد للنّحو اليوناني أو السرياني نجد: كارل بروكلمان حيث يقول في كتابه تاريخ الأدب العربي: "والرأي الّذي يتكرّر دوما عند علماء العرب هو أن علم النّحو انبثق من العقلية العربيّة المحضة، بغضّ النّظر عن الروابط بين اصطلاحات هذا العلم ومنطق أرسطو، وفيما عدا ذلك لا يمكن إثبات وجوه أخرى من التّأثير الأجنبي"[39].

فبروكلمان وإن أقرّ بوجود روابط بين علم النّحو واصطلاحاته، وبين اصطلاحات المنطق ووجود نوع من التشابه بينهما، إلاّ أنّه يقرّ صراحة أنّ علم النّحو انبثق من العقلية العربيّة الأعرابيّة المحضة، ويدعّم هذا الرّأي المستشرق" دي بور" في قوله عن النّحو بأنّه" أثر رائع من آثار العقل العربيّ بما له من دقّة في الملاحظة، ومن نشاط في جمع ما تفرّق ويحقّ للعرب أن يفخروا به"[40].

وختاما لا يمكننا بأيّ حال من الأحوال أن ننكر تأثر النّحو العربيّ ابتداء من القرن الثالث بالمنطق، وأنّه تسرّب إلى جلّ فصوله تسريبا استعصى على الدارسين للنّحو في فهم واستيعاب أبوابه، فكثرت التأويلات والإخراجات واختلف النّحاة أنفسهم في المسألة

الواحدة وعمد المناطقة إلى ترسيخ هذا العلم في الثّقافة العربيّة، فتآلف بذلك ماهو نحوي بما هو منطقي،ومن هنا بدأت تظهر بوادر الصّعوبة في الدّرس النّحوي العربيّ وفلسفة النّحو واحدة من هذه العثرات التي وقفت أمام الدّارسين والمدرسين على حدّ سواء، فكثر بذلك الخلاف النّحوي بين النّحاة والمدارس، وتاه النّاس في جملة ذلك إلى أي رأي يميلون وأي مدرسة ينصرون، فاصطبغ النّحو بصبغة الغموض وأصبح أمره عسيرا لا يفهم إلا بمشقة وإعمال العقل والفكر، وطُبق النّحو ومن جملته القياس على اللّغة تطبيقا صارما، كل هذا وأكثر خلّف لنا شيئا اسمه صعوبة النّحو، وبدأت تظهر بوادر الدّعوة إلى تيسيره وتجديده وإحيائه وإصلاحه، بل حتى إلى إلغائه، وتاه الدّرس النّحوي بذلك بين هذه المصطلحات الأربعة كل ينظر إليه من زاوية تفكيره وجهوده الذّاتية في إقامة صرح النّحو العربيّ من جديد،ونفخ الحياة في جذوته التي انطفأت ولا تكاد تبين عند سائر المتعلّمين.

**المصادر والمراجع:**


1- إبراهيم السامرائي، النحو العربي في مواجهة العصر، دار الجيل، بيروت، ط1، 1990.

2- ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء تح: إبراهيم السمرائي مكتبة المنار، الأردن،ط3، 1985.

3- أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو تح: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط3، 1979.

4- أحمد أمين، ضحى الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة مصر، 2012، ج2.

5- أمين الخولي، مناهج التجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، دار المعرفة، القاهرة، ط1، 1961.

6- أنيس فريحة، في اللغة العربية وبعض مشكلاتها، دار النهار للنشر، بيروت، 1980.

7- أنيس فريحة، نظريات في اللغة، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط2، 1981

8- تمّام حسّان، اللغة بين المعيارية و الوصفية، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2000

9- تمّام حسّان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ط5،1975

10- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ج1 .

11- عبد الرحمن أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، مؤسسة الصباح للنشر و التوزيع، الكويت، 1958

12- عبد القادر مهيري، نظرات في التراث اللغوي العربي، دار الغرب الإسلامي ، لبنان، ط1، 1993.

13- عبده الراجحي، النحو العربي و الدرس الحديث بحث في المنهج، دار النهضة العربية، بيروت، 1979.

14- عوض حمد القوزي، المصطلح النحوي نشأته وتطوره ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

15- فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ايتراك للنشر و التوزيع،مصر، ط1، 2004.

16-كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994.

## الهوامش:

[1]- عبد القادر مهيري، نظرات في التراث اللغوي العربي، دار الغرب الإسلامي ، لبنان، ط1، 1993، ص:85.

[2]-عبده الراجحي، النحو العربي و الدرس الحديث بحث في المنهج، دار النهضة العربية، بيروت، 1979، ص:61.

[3]- فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ايتراك للنشر و التوزيع،مصر، ط1، 2004، ص: 64.

[4]- تمّام حسّان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ط5،1975، ص:16.

[5]- المرجع نفسه، ص:17.

[6]- تمّام حسّان، اللغة بين المعيارية و الوصفية، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2000م، ص:118.

[7]- عبده الراجحي، النحو العربي و الدرس الحديث بحث في المنهج، ص:104.

[8]- المرجع نفسه، ص: 104.

[9]- المرجع نفسه، ص:104.

[10]- تمّام حسّان: مناهج البحث في اللغة، ص:17،18.

[11]- فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص66.

[12]- فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص:64.

[13]- أنيس فريحة، في اللغة العربية و بعض مشكلاتها، دار النهار للنشر، بيروت، 1980، ص: 93.

[14]- أنيس فريحة، نظريات في اللغة، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط2، 1981، ص:121.

- عبد الرحمن أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، مؤسسة الصباح للنشر و التوزيع، الكويت، 1958[15]، ص:10.

[16]- عبده الراجحي، النحو العربي و الدرس الحديث، ص:62.

[17]- عبد القادر مهيري، نظرات في التراث اللغوي العربي، ص: 86.

- أمين الخولي، مناهج التجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، دار المعرفة، القاهرة، ط1، 1961، ص: 72.[18]

[19]- إبراهيم السامرائي، النحو العربي في مواجهة العصر، دار الجيل، بيروت، ط1، 1990، ص: 44.

[20]- إبراهيم السامرائي، النحو العربي في مواجهة العصر، ص: 45.

[21]- عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص: 103، 104 .

[22]- إبراهيم السمرائي،النحو العربي في مواجهة العصر،ص: 56،57.

[23]- عبد القادر مهيري، نظرات في التراث اللغوي العربي، ص: 90.

[24]- المرجع نفسه، ص: 91.

[25]- المرجع نفسه، ص: 92.

[26]- عبد القادر مهيري، نظرات في التراث اللغوي العربي، ص: 92.

[27]- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ج1، ص: 43 وما بعدها.

28- ينظر:فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص: 62،63 .

[29]- أحمد أمين، ضحى الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة مصر، 2012، ج2ص: 614.

[30]- المرجع نفسه، ص: 614.

[31]- كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994، ص: 444.

[32]- عبد القادر مهيري، نظرات في التراث اللغوي العربي، ص: 92.

[33]- فاطمة الهاشمي بكوش،نشأة الدرس اللساني العربي الحديث،ص: 63 وينظر النحو العربي والدرس الحديث لعبده الراجحي،ص:68،67 وفيه تفصيل للمناظرة.

[34]- ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء تح: إبراهيم السمرائي مكتبة المنار، الأردن،ط 3، 1985، ص: 234.

[35]- المصدر نفسه، ص: 234.

[36]- عبد القادر مهيري،نظرات في التراث اللغوي العربي، ص: 98.

[37]- المرجع نفسه، ص: 112.

[38]- أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو تح: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط 3، 1979، ص: 48.

[39]- كارل بروكلمان تاريخ الأدب العربي، ص: 444.

[40]- عوض حمد القوزي، المصطلح النحوي نشأته وتطوره ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983 ص: 29،30.